مواقف في الطائرة (١ / ٢)

١٣/ ٣/ ١٤٣٦هـ

مما يُقال، ويُؤثَر من الحِكَم: «السفر يُسفِرُ عن أخلاق الرجال» ولئن كان هذا يَظهر في الرحلات الخاصة، التي يجتمع فيها عددٌ قليلٌ في سيارة واحدة، وتمتد رحلتُهم بضعةَ أيام؛ فماذا عن رحلات الطائرات التي يجتمع فيها عددٌ كبيرٌ في سويعات مؤقتة، لا يختارهم الإنسانُ، مع تنوعٍ عجيبٍ في مشاربهم وثقافاتهم! كما يظهر هذا جليًّا في الرحلات الدَّولية.

لعل هذا النوع من السفر يكشف عن ثقافات وقِيَمٍ لدى الركاب، ويظهر ذلك واضحًا في طريقةِ تعاملهم، وفي سلوكهم في أثناء انتظار الركوب في الطائرة أو بعد تبوّئهم مقاعدَهم فيها، ويظهر في اغتنامهم لأوقاتهم، وفي غير ذلك.

ثمّة مواقفُ أو صورٌ تتكرر في أمثال هذه الرحلات، قد يكون في ذِكرها والتعليق عليها شيءٌ من الفائدة، خصوصًا وكثيرٌ من الناس قد تمرُّ به، فلعلها تكون عونًا على استثمارها.

ومن تلكم المواقف التي وقعت لي، أو شاهدتها بنفسي:

الموقف الأول: في رحلـــةٍ دوليةٍ تمتد قرابة ســـبع ســـاعات، أيقظني صاحبـــي قبيل الفجر من أجـــل المبادرة للوضوء قبـــل ازدحام دورات المياه اســـتعدادًا للصلاة، ومـــا لفت النظر، ونحن ذاهبـــون للدورات: مررنا بالمصلى الموجود في الخلف، فإذا بامرأة تصلي، دخلنا، وخرجنا من وضوئنا، وما زالت المرأةُ تصلي! فإذا بها إحدى المضيفات! علَتْنا الدهشةُ، وغَشِيَنا شيءٌ من الإكبار لهذه المرأة!

هنا رأى صاحبي اهتبالَ هذه الفرصـــة ليُثني على عملها، ويدعو لها بالثبات، وأن يرزقها اللهُ عملًا آخر أبعـــد لها عن مواطن الرجال، فكان تأمينُها يَصِل للسمع من مسافة ليست بالقريبة.

إنه موقفٌ يكشـــف لك أن في هؤلاء الإخـــوة والأخوات العاملين في هذه المجالات مَنْ يحمل بين جنبيه قلبًـــا طيبًا، وتدينًا جيدًا، وإن كان مظهـــرُه قد لا يوحِي بذلك، لكن قد يكون اضطرّه طلبُ المعاش إلى مثل هذه الوظيفة التي لا تخلو من محاذير، خاصة في العنصر النســـائي -وهذا ليس تبريرًا! بل هو توصيف للحال-، فما أجمل إحســـانَ الظن! واغتنامَ الفُرَص في الدعاء لهم، وتذكيرهم بالأسلوب المناسب.

الموقف الثاني: في إحـــدى الرحـــلات الدولية لفـــت نظري حالُ راكِبَين: أحدهما بيده كتاب يقرؤه، وآخر يقلّب طرْفه في ســـقف الطائرة، ومتابعةِ الغادي والرائح من الركّاب ومضيفي الطائرة! لم تنتهِ مدّة الرحلة -ومدتها قرابة ســـاعتين ونصف الساعة- إلا وقد أنهى صاحبُ الكتاب كتابَه، وصاحبُنا ما زال على حاله! وما أكثر أشباهَه!

إنهما نموذجان يحكيـــان أثَر ثقافةِ اغتنام الوقت، واســـتثماره بالمفيد،

وهذا لا يعني أن نطلب مِن الناس أن يكونوا جميعًا قرّاءً! ولكن من الغبن البيّن أن تمضي الســـاعاتُ دون فائدة، فإن لم يكن للمسلم ميل للقراءة في الكتاب؛ فليقرأ شيئًا من القرآن تشهد له به تلك المواضع -وقد تيسر حملُ القرآن بواســـطة هذه الأجهزة بشكل لم يَســـبق له مثيل- أو ليغتنم ذلك بركعتين، أو بالدعاء، فدعاء المســـافر له ميزة؛ لعل دعوة في تلك الأجواء تُفتح لها أبوابُ الســـماء، أو بالتســـبيح والتهليل والتحميد والتكبير، أو يغتنمه بالتفكير للإســـلام أو مصالح المســـلمين، أو بغير ذلك من صور الاغتنـــام، ومَن كان الهمُّ عنـــده فلن يعدم حيلةً، ولن يعدم وســـيلةً من وسائل اغتنام الوقت، وما أكثرها!إن التربية على اغتنام الوقت في النافع المفيـــد ثقافةٌ تبدأ من الصغر، حيث المحضن الأول للتربية: البيت، الذي يتلقى فيه الأبناءُ دروسًا عمليةً في أمورٍ شتى، لعل هذا من أهمها.

وللحديث صلةٌ إن شاء الله، بمواقف أخرى.